

الملتقى العلمي الإسلامي و آفاق الوحدة و المواطنة في أرض الشام



تكاد تخرج أرض الشام من محنتها و تنتهي قريبا - بإذن الله - الحرب الدامية التي استمرت ثمان سنوات.

و سوريا الآن شعباً و حكومة - و لاسيما مؤسستها الدينية - هي اليوم أمام مسؤولية كبرى في المرحلة الراهنة ألا و هي "بناء الوعي الديني الحضاري الوسطي البعيد عن الإرهاب و التكفير" .

والحق يقال أن تلك المؤسسة قد لعبت خلال الحرب دورا هاما في مواجهة الإرهاب والفكر المتطرف، وقدمت شهداء من العلماء الأفاضل من ديانات ومذاهب مختلف .

سوريا و مكوناتها الدينية

يتشكل فيفساء الدولة السورية من الوان متنوعة دينياً و مذهبياً و قومياً ولا تزال رغم المآسي التي ألمت بها تركز ثقافة التعايش السلمي وهي الثقافة السائدة فيها .

النسيج الفكري و الروحي في سوريا و العلاقات الاجتماعية بعيدة عن التعصب الطائفي المقيت الذي يفرق و لا يجمع، غير أنّ الجهات الأجنبية التي كانت ترى هذه الوحدة مانعاً أمام تحقيق مآربها الشيطانية حاولت أن تغذي هذه الحرب بسلاح الطائفية و أن تضع بين مكونات الشعب إسفين الخلاف و تغري و تصنع بينها شروخاً كبيرة .

سوريا منارة الوحدة الإسلامية

لاننكر دور الأزهر الشريف ثقافياً و فكرياً و دينياً في العالم الإسلامي ، و نعتقد أنّ وجود هذه المدرسة الفكرية المعطاءة، يقدّم الكثير من الخير و البركات الدينية للأمة، لكن كنّا نطمح فيه أن يكون على مستوى تاريخه و رجالته العملاقة و موقعه الاستراتيجي في قضية الوحدة الإسلامية، و أن تستمر مشيخة الأزهر في المضي بمسيرة الشيخ شلتوت رحمه الله التقريبية و أن يؤدّي الأزهر أدواراً ريادية في لمّ الشمل و توحيد الأمة لكنّ مع الأسف الشديد لم يتحقق ذلك...

فاليوم تتجه الأنظار نحو سوريا و دورها المنشود في تحقيق القيم الإنسانية و الدينية التي تحقق السلام و الوحدة و الوئام .

المؤسسة الدينية السورية وريثة عباقره الفكر الإسلامي المعاصر مثل العلامة الشهيد سعيد رمضان البوطي و العلامة كفتارو و الشيخ رجب ديب و غيرهم من رجال الفكر و التصوف، و قد آن الأوان لتعود المرجعية الدينية التي سرقت و نهبت من قبل الوهابية إلى أهلها و روادها الأصليين.

سوريا حكومة و شعباً ابلت بلاء حسناً و استطاعت أن تتجاوز حرباً من أشد أنواع الحروب تعقيداً و أصعبها على طول التاريخ البشري، و اكتسبت-من خلال هذه المحنة - تجربة فريدة في مواجهة المؤامرات الكونية التي تستهدف نسيجها الاجتماعي و الديني و المذهبي.

إذا اعتبرنا الحرب المفروضة على سوريا مرحلة مخاض عسير فمن الضروري أن يتولد من رحم هذه المأساة الإنسانية الأليمة مولوداً مباركاً يمنح سوريا التعايش و الوحدة و المواطنة.

و هنا دور علماء الدين الربانيين الواعين في سوريا فإنّ لهم واجب وطني لترتيب البيت الداخلي، و وضع البلسم على جرح الحرب النازف، و إعادة روح المواطنة و التعايش السلمي، من خلال إيجاد الحوار الحقيقي بين كل مكونات الشعب السوري و فتح المجال للمشاركة العادلة الاجتماعية و السياسية لجميع

المكونات ،ومن خلال المبادرات الإنسانية لتقديم الخدمات للطبقة المستضعفة التي تضررت من الحرب بغض النظر عن انتماءات الأفراد الدينية و المذهبية .

و المطلوب أن تملأ المؤسسة الدينية السورية -على المستوى الأممي و العالمي - الفراغ الحاصل في المرجعية الدينية في العالم الإسلامي لاسيما في المذهب السنّي و الذي حصل بسبب غياب دور الازهر و الزيتونة و القيروان و المؤسسات الدينية العريقة الأخرى .

هذا الفراغ الذي استطاعت السعودية استغلاله من خلال استثمار الشعور الديني المتحفز لدى الشباب ،وتجنيدهم في عصابات وزمر تكفيرية ارهابية .

المواطنة سدّ منيع أمام الطائفية البغيضة

لاشكّ أنّ الفراغ الموجود في لفكر الإسلامي الصحيح و الذي يبني على أساسه الإنسان قبل البنيان، قد فتح المجال أمام قطّاع الطريق الذين حرّفوا الدين حسب أهواءهم و غرروا الشباب بأمانى نكاح الحور العين و الدخول في جنات تجري من تحتها الأنهار مقابل إرهاب إخوانهم في الدين و شركائهم في الوطن!

يقابل الطائفية المبنية على الكراهية و البغضاء و إثارة النعرات التوجه الوجدوي و القائم على الاعتراف ضرورة التعايش بين أبناء الوطن الواحد .

من الضروري أن نسعى جميعاً لتوعية المجتمع و تثقيفه بهذه الثقافة الدينية التنويرية و محاولة ترميذه و علاجه من مرض الفرقة العضال الذي يفتك بجسده .

و من المفاهيم التي من شأنها أن تحقق جانباً من مشروع الوحدة الإسلامية هي المواطنة . علينا أن نسلط الضوء على هذا المفهوم دينياً لنعي قدره و مكانته في منظومة الفكر الإسلامي، و من ثمّ نتحدث عن نسبه و دوره في مسيرة تحقيق الوحدة الإسلامية، و أيضاً ندرس بتمعن و دقة علمية تأثيره على الحقول المعرفية العملية الأخرى و تأثيره على الجوانب العملية للحياة .

مشروع الوحدة و بناء الوعي الحضاري

الوحدة الإسلامية قيمة دينية اقرّتها القيم الإنسانية و تؤكد على ضرورتها و وجوبها النصوص الدينية

المتتمثلة بالقرآن الكريم وسنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، بل يمكن الادعاء بأنّها من مقاصد الشريعة الإسلامية العليا أو من اللوازم و مقتضيات هذه المقاصد، إذ لا يتحقق كيان الأمة إلا بوحدتها و دون تحقيق هذه الوحدة و الانسجام بين عناصرها المذهبية و القومية، و تياراتها الفكرية و السياسية، تبقى أمة مفككة لا يتوفر فيها الأمن و الإستقرار فضلاً عن توفر الفرصة لأبنائها للتفكير بنهضتها و رقيها و تطويرها .

الوحدة الإسلامية تلك الفريضة الغائبة التي نسيت الأمة وجوبها الشرعي بعد أن أصيبت بداء الحروب الطاحنة التي شغلته عن بناء حضارتها الإنسانية الدينية .

الحروب التي أشعل نيرانها بعض الساسة الفاسدين و علماء البلاط أو منظري الإرهاب و أصحاب الجماعات التكفيرية الذين أساءوا الاستثمار في الخلافات الفكرية لأجل تعبئة الناس طائفيًا و استغلالهم ظلماً و علواً .

إيران وسوريا يداً بيد في المسيرة الوجودية

التعاون الوثيق بين المؤسسات الدينية السورية و المؤسسات الدينية الإيرانية أظهرت للجميع أنّ العلاقات بين البلدين لم تقتصر في الجانب العسكري و الأمني فحسب و إنّما هي متينة و ممتدة في الجانب الثقافي و الديني أيضاً .

(الملتقى العلمائي الإسلامي) ندوة حوارية علمية فكرية و هي من مصاديق هذه العلاقات الدينية .
يقيمها مكتب الإمام الخامنئي في سوريا سنويًا و هذه السنة يقام هذا المؤتمر ضمن عمل مشترك بين المكتب و وزارة الأوقاف السورية تحت عنوان (دور العلماء في تأصيل مفهوم المواطنة و حفظ الأوطان) في محاولة من القائمين على الملتقى لاستكشاف (مفهوم الوطن في منظومة الفكر الإسلامي) و بلورة (منطلقات و مباني فقه المواطنة) و تسليط الضوء على (هوية الذات بين الانتماء العقدي و الإنتماء الوطني) و دراسة (دور التكفير و الصهيونية في تشويه مفهوم المواطنة و هدم الأوطان) و فهم العلاقة بين (ثنائية المقاومة و المواطنة) .